الغزو الثقافي والإعلامي

وأثره على العمل الدعوي في لومي

دراسة وصفية تحليلية

د. عباس إسماعيل

الغزو الثقافي والإعلامي

وأثره على العمل الدعوي في لومي

دراسة وصفية تحليلية

إعداد: د. عباس إسماعيل
محاضرٌ بكلّ من
معهد لومي للثقافة الإسلامية
جامعة السلام للعلوم والتنمية
soumailaabasse71@gmail.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ من لا نبي بعده، وبعد:

تواجه المجتمعات الإسلامية في العصر الحديث تحديات متنوعة، من أبرزها ما يُعرف بـ الغزو الثقافي، وهو فرض نمط ثقافي معيّن علىٰ مجتمع ما بوسائل غير عسكرية، بهدف التأثير علىٰ هويته الأصلية واستبدالها بثقافة وافدة غالبًا ما تتعارض مع قيمه ومعتقداته. ويرتبط بالغزو الثقافي بشكل وثيق ما يُعرف بـ الغزو الإعلامي، الذي يعتمد علىٰ وسائل الإعلام الحديثة وشبكات التواصل الاجتماعي لنشر أفكار وأنماط سلوكية تؤثر علىٰ البنية الفكرية والاجتماعية للأفراد، لا سيّما الشباب.

ويُعَدّ الغزو الثقافي والإعلامي من أبرز التحديات التي تُواجه العمل الدعوي وتُهدِّد فاعليته وانتشاره؛ إذ يتسلل إلىٰ عقول الناس وقلوبهم بأساليب ناعمة وغير مباشرة، فيُحدث خللًا في المرجعية الفكرية والذوق العام، ويؤثّر سلبًا في تقبُّل الخطاب الدعوي واستيعاب مضامينه، الأمر الذي يستدعي وعيًا دعويًا متجددًا، وأساليبَ مواجهةٍ تتناسب مع طبيعة هذا التحدي المعاصر.

شهدت مدينة لومي – عاصمة جمهورية توغو – خلال العقود الأخيرة انفتاحًا واسعًا علىٰ الثقافة الغربية؛ نتيجة تأثير وسائل الإعلام العالمية، وهيمنة الأنظمة التعليمية ذات الخلفيات الفرنسية، والتبادل التجاري والثقافي مع دول الغرب.

وقد رافق هذا الانفتاح تسلُّل تدريجي لتيارات التغريب، لم يقتصر علىٰ المظاهر الخارجية أو اللغة فحسب، بل امتدَّ ليطال بُنىٰ الفكر والسلوك ومنظومة القيم، ولا سيما لدىٰ فئتي الشباب والنساء، بوصفهما الأكثر تأثرًا بالمضامين الإعلامية والثقافية الوافدة.

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية دراسة مظاهر الغزو الثقافي والإعلامي في مجتمع لومي، للكشف عن أبرز تجلّياته في الواقع المعيش، سواء في السلوك العام، أو أنماط اللباس، أو المجال التعليمي، أو غير ذلك من المجالات المؤثرة، مع تحليل أثره في مدىٰ تمسّك المسلمين بقيمهم الدينية وهويتهم الثقافية، وانعكاساته علىٰ مسيرة العمل الدعوي في المدينة.

أهداف الدراسة:

ويهدف هذا البحث إلىٰ تحليل مظاهر الغزو الثقافي والإعلامي في لومي، وبيان انعكاساته علىٰ الهوية الدينية والثقافية للمجتمع، وعلىٰ فعالية العمل الدعوي، من خلال استعراض الواقع الميداني، ودراسة آراء الدعاة والمربين، وتحليل البيانات المستقاة من الاستبانة الميدانية، مع التركيز علىٰ أبرز المجالات المتأثرة كاللغة العربية، والمظاهر السلوكية، والانتماء القيمي.

إشكاليات الدراسة:

تسعىٰ الدراسة إلىٰ الإجابة عن مجموعة من الأسئلة الأساسية، أبرزها:

1. ما المقصود بالغزو الثقافي والإعلامي، وما أبعاده النظرية والتطبيقية؟

2. كيف تجلّت مظاهره في مدينة لومي، وما الفئات الأكثر تأثرًا؟
3. ما أثر هذه الظاهرة علىٰ فعالية العمل الدعوي والهوية الثقافية الإسلامية؟
4. ما المقترحات والآليات الممكنة لمواجهة تحديات الغزو الثقافي والإعلامي؟

حدود الدراسة:

تتحدد حدود الدراسة فيما يلي:

- **الحد الزمني:** الفترة الممتدة من عام 1995م حتىٰ 2025م، وهي كافية لرصد تطور الغزو الثقافي وتأثيراته علىٰ المجتمع الدعوي.
- **الحد المكاني:** مدينة لومي فقط، باعتبارها المركز الحضري والدعوي الرئيس في توغو.
- **الحد الموضوعي:** مظاهر الغزو الثقافي والإعلامي، انعكاساته علىٰ الهوية الدينية والثقافية، وتأثيره علىٰ فعالية العمل الدعوي، مع تقديم توصيات عملية لمعالجة هذه الظاهرة.

منهج الدراسة:

تعتمد الدراسة علىٰ المنهج الوصفي التحليلي، مستفيدًة من الملاحظة الميدانية، وبعض المقابلات الشخصية، والاستبانة الإلكترونية، بهدف تقديم صورة دقيقة وموضوعية لواقع الغزو الثقافي في مدينة لومي، وبلورة حلول عملية لتعزيز الهوية الإسلامية ومواجهة التأثيرات السلبية للغزو الثقافي والإعلامي.

هيكل الدراسة:

وقد تم تقسيم هذه الدراسة إلىٰ ثلاثة مباحث رئيسة، تهدف إلىٰ تقديم قراءة متكاملة لواقع العمل الدعوي في مدينة لومي في ظل الغزو الثقافي والإعلامي، وتقديم مقترحات لمعالجته، كما يلي:

المبحث الأول: جغرافية مدينة لومي ودخول الإسلام إليها، ويتضمن ثلاثة مطالب:

1. مدينة لومي: موقعها وجغرافيتها، للتعريف بالخصائص الطبيعية والسكّانية والاقتصادية للمدينة.
2. دخول الإسلام في لومي، مع بيان عوامل وصول الدين الإسلامي إلىٰ المدينة.
3. انتشار الإسلام في لومي، موضحًا دور التجار والمهاجرين والمؤسسات التعليمية والدعوية في ترسيخ الإسلام.

المبحث الثاني: الغزو الثقافي والإعلامي في مدينة لومي، ويشمل مطلبين:

1. مظاهر الغزو الثقافي والإعلامي في المدينة، مع التركيز علىٰ تأثيرات الثقافة الغربية والإعلام علىٰ الشباب والهوية الدينية.
2. انعكاس الغزو الثقافي والإعلامي علىٰ فعالية العمل الدعوي، مستعرضًا تأثيره علىٰ الحضور المجتمعي، وتهميش الرموز الدينية والمؤسسات الدعوية، وضعف الاهتمام باللغة العربية.

المبحث الثالث: معالجة آثار الغزو الثقافي والإعلامي، ويحتوي علىٰ ثلاثة مطالب:

1. تعزيز الهوية الإسلامية عبر الإعلام والبرامج الثقافية، لتقديم البدائل الدعوية الجاذبة.
2. تقوية المؤسسات التعليمية الإسلامية والاهتمام بها، بما يعزز التعليم الشرعي واللغة العربية.
3. دعم الخطاب الدعوي أمام التحديات الثقافية والاجتماعية، من خلال تطوير الأساليب والمنصات الحديثة للتواصل مع الشباب والمجتمع.

هذا التقسيم يتيح تناول الموضوع بأسلوب منهجي متكامل، يجمع بين التحليل الواقعي والاقتراحات العملية، ويعكس تفاعلات الدين والثقافة والإعلام في سياق مدينة لومي.

المبحث الأول: جغرافية مدينة لومي ودخول الإسلام إليها

وتحته ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مدينة لومي: موقعا وجغرافيا

لومي (Lomé) عاصمة جمهورية توغو، وأكبر مدنها، وأكثرها أهمية من الناحية السياسية والاقتصادية، تقع في أقصىٰ الجنوب الغربي لتوغو، وهي علىٰ بعد 200 كيلومتر (124 ميلا) من أَكْرَا عاصمة غانا، و150 كيلومترا (93 ميلا) من كوتونو (بنين)، وهي متصلة بالمحيط الأطلسي من جهة الجنوب.[1]

وتعدّ مدينة لومي عاصمة اقتصادية لتوغو، والمركز الإداري والصناعي للبلاد؛ إذ إنها تضم مصفاة لتكرير النفط، والميناء الرئيسي؛ حيث تصدّر الفوسفات، والبن، والكاكاو، والقطن، وزيت النخيل، ولب جوز الهند، ويذهب جزء كبير إلىٰ البلدان المجاورة مثل غانا ومالي والنيجر وبوركينا فاسو.[2]

وقد تم تأسيس مدينة لومي في القرن الثامن عشر الميلادي بواسطة قبائل الإيويEWE، وكانت قرية صغيرة تسمىٰ باي بيتش، وفي عام 1882م أصبحت القرية مركزاً تجارياً رئيساً بينها وبين الدول الأوروبية.

---

[1] ينظر: **"مدينة لومي"** ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، https://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%84، تاريخ الاطلاع (18/01/2025م)

[2] - **"ما هي عاصمة توجو"**، https://www.nawa3em.com/%D8%D8%، تاريخ الاطلاع (18/01/2025م)

كانت بَاغِيدَاBagid العاصمةَ الأولىٰ لتوغو في الفترة الممتدة من عام 1884م إلىٰ 1893م، ثم انتقلت العاصمة إلىٰ أَنيهو Aného خلال المدة من 1893م إلىٰ 1897م . وفي عام 1897م جرىٰ اختيار لومي عاصمةً استعماريةً لـ توجولاند الألمانية بعد احتلالها، وذلك بنقل العاصمة من أَنيهو إليها. وقد شهدت المدينة منذ ذلك الحين نموًّا وازدهارًا ملحوظين، إلىٰ أن احتلّتها فرنسا عام 1914م إبّان الحرب العالمية الأولىٰ.[1].

يبلغ عدد سكان لومي 837437 نسمة حسب إحصائية تعداد عام 2010م،وبإضافة سكان المناطق الحضرية المحيطة بمحافظة غولف، يبلغ تعداد لومي 1477660 نسمة عام 2010. [2]

إن مدينة لومي هي: العاصمة السياسية لجمهورية توغو، وأكثر المدن تقدّمًا من حيث التخطيط العمراني والبنية التحتية، وأكثرها كثافة سكانية .وتُعدّ لومي مركزًا تجاريًا حيويًا، إذ تحتوي علىٰ الميناء البحري الرئيسي للبلاد، والمطار الدولي الوحيد، كما تحتضن الجامعة التعليمية الحكومية الوحيدة، وتعد مقرًا للسلك الدبلوماسي الأجنبي في البلاد. ويُصنّف ميناء لومي من بين

---

[1] ـ ينظر: **المرجعين السابقين.**

[2] ـ **ينظر: "ما هي عاصمة توجو" مرجع سابق// "جمهورية توغو"** ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، مرجع سابق.

أهم الموانئ في منطقة غرب إفريقيا من حيث الحركة التجارية والشحن البحري.[1]

وعلىٰ المستوىٰ اللغوي، تُعد لغة الإيوي (EWE) وسيلة التواصل الأوسع بين السكان المحليين، إلىٰ جانب اللغة الفرنسية، التي تُستخدم كلغة رسمية للدراسة والتعليم والإدارة، مما يعكس التنوع الثقافي واللغوي للمدينة وأهميتها كمركز حضري واقتصادي وإداري رئيس في توغو.

المطلب الثاني: دخول الإسلام في لومي

لا تتوافر معلومات تاريخية دقيقة يمكن الاعتماد عليها، أو الجزم بها، لتحديد تاريخ دخول الإسلام إلىٰ مدينة لومي؛ إذ يواجه الباحث صعوبةً في إثبات ذلك علىٰ نحوٍ قاطع، في ظل غياب المصادر المكتوبة، وندرة الشهادات التوثيقية المعاصرة لتلك المرحلة التاريخية. غير أنّ التأمُّل في المعطيات التاريخية المتعلِّقة بوصول الإسلام إلىٰ شمال جمهورية توغو، وما صاحب ذلك من قيام ممالك إسلامية في تلك الجهة، يُشير إلىٰ أن دخول الإسلام إلىٰ مدينة لومي كان متأخرًا نسبيًا، ولم يتم في الفترة نفسها التي شهدت انتشار

[1] – ينظر: **تعليم اللغة العربية في المدارس العربية الأهلية في توغو (المشكلات والحلول)**، آدم عبد السلام، بحث ماجستير في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها غير منشور (معهد الخرطوم الدولي للغة العربية، قسم تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها، عام 2002م(،ص:25.

الإسلام في المناطق الشمالية من البلاد، بل جاء في سياقٍ تاريخي لاحق ارتبط بعوامل اجتماعية وتجارية وهجرات داخلية.[1]

ويتعزّز القول بتأخّر دخول الإسلام إلىٰ مدينة لومي بعددٍ من العوامل، من أبرزها أن غالبية سكان المدينة في تلك المرحلة كانوا ينتمون إلىٰ قبيلة الإيوي (Ewé)، وهي قبيلة عُرفت تاريخيًا بانتشار الديانات الوثنية التقليدية في بنيتها العقدية والاجتماعية، وقد ترسّخت هذه المعتقدات عبر أجيال متعاقبة، ولا تزال آثارها ماثلة إلىٰ اليوم. إذ ما يزال عددٌ معتبرٌ من أفراد القبيلة يدين بتلك المعتقدات، بينما اعتنق بعضهم الديانة المسيحية في مراحل لاحقة، في حين ظلّ اعتناق الإسلام محدودًا في بداياته، ولم يُسلم منهم سوىٰ عددٍ قليل في المراحل الأولىٰ.[2]

يقول الشيخ أغورو زكريا[3] – حفظه الله ورعاه–: **"أما المناطق الجنوبية فلم تبلغها الدعوة الإسلامية مبكّرا، فانتهز المبشّرون الفرصة بمساعدة الاستعمار الألماني، فوصلوا إليها بغرض العلاج والتعليم، وبنوا المراكز الصحية والتعليمية وغيرها من المشاريع الإغاثية، وما لبثت المنطقة حتىٰ أصبحت مسيحية"**[4]

---

[1] – ينظر: **إسهامات الجامعات الإسلامية في مدينة «لومي» في خدمة الدعوة الإسلامية: الواقع والتحديات والآفاق**، د.عباس إسماعيل، مقالة منشورة في موقع: قراءات إفريقيا، رابط المقالة: https://qiraatafrican.com/32759/

[2] – ينظر: **المرجع نفسه.**

[3] – هو من كبار الدعاة في توغو، والإمام الأكبر في لومي، كان المدير السابق للمرحلة الثانوية للمجمع التعليمي الإسلامي.

[4] – الشيخ أغورو زكريا، **تقرير موجز عن حالة توغو دينيا وأنشطة دعاة الوزارة فيها**، مرجع سابق.

ومع أنّ دخول الإسلام إلىٰ مدينة لومي لم يكن في مرحلة مبكّرة مقارنة ببعض مناطق شمال توغو، إلّا أنّه لم يتأخّر كثيرًا بعد انتشاره في تلك الأقاليم؛ إذ لم تتوقّف الحركة الإسلامية عند حدود جغرافية معيّنة، بل واصلت مسارها في الانتشار والتوسّع، حتىٰ تسرّبت تدريجيًا إلىٰ مختلف أنحاء البلاد، وشملت لاحقًا معظم المدن والمناطق، ومن بينها العاصمة لومي، التي غدت في مرحلة لاحقة مركزًا مهمًا من مراكز النشاط الإسلامي. وقد وصل الإسلام إلىٰ مدينة لومي في بداياته الأولىٰ عبر المصادفة التجارية، لا عن طريق نشاط دعوي منظَّم أو تخطيط مسبق من قبل دعاة معيّنين، وإنما كان ذلك نتيجة طبيعية لتحرّكات التجار المسلمين الذين وفدوا إلىٰ المدينة ضمن شبكات التجارة الواسعة التي كانت تربط شمال توغو بمناطق غرب إفريقيا المختلفة وسواحلها الجنوبية.[1]

وكان للتجار المسلمون الذين وفدوا إلىٰ مدينة لومي دورٌ غير مباشر ولكنه جوهري في نشر الإسلام، إذ إنهم، علىٰ الرغم من انشغالهم بأعمالهم التجارية والمبادلات الاقتصادية، لم يتخلّوا عن ممارسة شعائرهم الدينية؛ فقد كانوا يحرصون علىٰ إقامة الصلاة في أوقاتها، وصيام رمضان، وقراءة القرآن الكريم، والتمسّك بالمظهر والسلوك الإسلامي في حياتهم اليومية، مع التزامهم بالقيم الأخلاقية مثل الصدق في المعاملات، والأمانة في التجارة، والعدل في التعامل مع الآخرين، وهو ما جعلهم نموذجًا عمليًا وقدوة حسنة أمام السكان المحليين. وبما أن الإسلام دينٌ متكامل ونمط حياة عملي يتوافق مع العقل

---

[1] – مقابلة شخصية **مع الدكتور آدم عبد السلام**، في مكتبه بمدينة لومي، تاريخ المقابلة 22/ 02/ 2025م، الساعة الحادية عشرة صباحا.

والفطرة الإنسانية، فقد تأثر عدد من أهالي لومي الذين اختلطوا بهؤلاء التجار في الأسواق والأحياء السكنية، وبدأ بعضهم بمحاكاة ممارساتهم اليومية، من الصلاة والصدق إلىٰ الالتزام بالقيم الأخلاقية، قبل أن يتجه بعضهم تدريجيًا إلىٰ اعتناق الإسلام. وقد ساعد هذا الاحتكاك المستمر والتفاعل الاجتماعي اليومي علىٰ إزالة الحواجز الثقافية والدينية، وخلق بيئة ملائمة لقبول الرسالة الإسلامية، ممهّدًا الطريق لاحقًا لتوسع النشاط الدعوي الرسمي في المدينة، مما يبرز أن دور هؤلاء التجار لم يقتصر علىٰ الجانب الاقتصادي فحسب، بل شمل نشر الوعي الديني والقيم الإسلامية العملية عبر القدوة والسلوك النموذجي، وهو ما يمثل جانبًا مهمًا من آليات انتشار الإسلام في غرب إفريقيا في تلك المرحلة التاريخية.[1]

وكما كان للتجار المسلمين دور بارز في وصول الإسلام إلىٰ مدينة لومي، فقد ساهمت بعض القبائل المهاجرة في ترسيخ دعائم هذا الدين ونشره داخل المدينة، إذ هاجر آباؤهم وأجدادهم من مناطق ودول مجاورة كان الإسلام قد وصلها في مراحل مبكرة، مثل النيجر ونيجيريا، ومناطق "جُوغُو" في شمال بنين، واستقروا في لومي إما بغرض التجارة أو الإقامة الدائمة. وقد حمل هؤلاء المهاجرون معهم معارفهم الدينية وممارساتهم الإسلامية، بما في ذلك الصلاة، والصيام، وقراءة القرآن، إضافة إلىٰ الالتزام بالقيم الأخلاقية والسلوك

---

[1] مقابلة شخصية **مع الدكتور آدم عبد السلام**، مرجع سابق. وينظر: **إسهامات الجامعات الإسلامية في مدينة «لومي» في خدمة الدعوة الإسلامية: الواقع والتحديات والآفاق**، د.عباس إسماعيل، مرجع سابق.

الإسلامي في حياتهم اليومية، مما جعلهم قدوة عملية للسكان المحليين .كما ساعد استقرارهم وتفاعلهم الاجتماعي مع أبناء المدينة في انتقال المعرفة الدينية تدريجيًا، وخلق بيئة مناسبة لقبول الإسلام، فكان لهم أثر ملموس في نشر الدين، وتكوين نواة أولىٰ للمجتمع الإسلامي في لومي، ومهدوا بذلك الطريق لتوسع النشاط الدعوي لاحقًا، سواء علىٰ مستوىٰ الأسرة أو الحي أو الأحياء التجارية.[1]

وقد اتخذ هؤلاء المهاجرون أحياءً سكنية خاصة بهم في ضواحي مدينة لومي، وعُرفت تلك الأحياء في البلاد باسم" زُنغُو"[2]، وهي مناطق ذات طابع إسلامي واضح، يقطنها مسلمون من خلفيات عرقية مختلفة، لكنهم اجتمعوا علىٰ الانتماء الديني المشترك، والتزام قيم التعاون والتكافل الاجتماعي،

---

[1] مقابلة شخصية **مع الدكتور آدم عبد السلام**، مرجع سابق.

[2] وتجدر الإشارة إلىٰ أن مدينة لومي تحتوي اليوم علىٰ حيّين يُعرفان باسم "زنغو"، وهما مرتبطان بالتاريخ الإسلامي للمدينة :زنغو القديم، وهو الحي الذي يشير إليه هذا البحث، حيث استقرّ فيه الأجداد والآباء القادمون من الدول المجاورة، وكان يمثل النواة الأولىٰ للمجتمع الإسلامي في المدينة. أما زنغو الجديد، المعروف باسم "أغوي زنغو"، فقد انتقل إليه الآباء بعد نحو خمسين عامًا عن زنغو القديم، ويبعد عنه مسافة تقارب 15 كيلومترًا، وأصبح اليوم يحمل الطابع الديني والمظاهر الإسلامية والثقافة الإسلامية بشكل أكبر من أي حي آخر في لومي .ولا يسكنه إلا المسلمون، ويحتوي علىٰ مساجد متعددة، ومدارس قرآنية، ومدارس عربية إسلامية أكثر من بقية أحياء المدينة، مما يجعله مركزًا حضاريًا ودينيًا رئيسًا للنشاط الدعوي، ومثالًا حيًا علىٰ ترسيخ القيم الإسلامية في المجتمع المحلي، وعلىٰ كيفية استمرار وانتقال الثقافة الدينية عبر الأجيال داخل أطر سكنية مهيكلة.

والحرص علىٰ ممارسة الشعائر الإسلامية بانتظام .وقد أسهمت هذه الأحياء في تكوين حاضنة أولىٰ للإسلام في جنوب توغو، إذ لم تقتصر أهميتها علىٰ الجانب السكني فحسب، بل امتدت لتشمل التعليم الديني، وتأسيس المساجد، وإقامة حلقات التحفيظ والدرس، بما جعلها نواة للمجتمع الإسلامي المنظم داخل المدينة، ومركزًا انطلق منه النشاط الدعوي لاحقًا ليشمل مختلف أرجاء لومي والمناطق المحيطة بها.

ويعود الفضل الكبير، بعد توفيق الله عز وجل، في نشر الإسلام وتعزيزه في مدينة لومي إلىٰ قبيلة الهوسا، التي لعبت دورًا محوريًا في هذا المسار من خلال شبكاتها التجارية الواسعة وروابطها الاجتماعية المتشعبة، ومبادراتها التعليمية والدعوية .فقد قامت هذه القبيلة بإنشاء المدارس القرآنية، والحلقات التعليمية، والمعاهد الدينية الصغيرة، وساهمت بذلك في تكوين أجيال متعلمة من أبناء المسلمين، ملتزمة بالدين والقيم الأخلاقية الإسلامية. وقد أسهم هذا الدور بشكل مباشر في استقرار الإسلام وترسيخ وجوده في المدينة، من خلال نقل المعرفة الشرعية، وتعليم اللغة العربية، وغرس مفاهيم التعاون والتكافل الاجتماعي، إضافة إلىٰ تعزيز الانتماء الديني لدىٰ السكان المحليين. كما مهدت هذه الجهود الطريق لتوسيع النشاط الدعوي لاحقًا، وجعلت من لومي مركزًا إسلاميًا مهمًا جنوب توغو، قادرًا علىٰ الحفاظ علىٰ هويته الدينية والثقافية عبر الأجيال.[1]

[1] – مقابلة شخصية **مع الدكتور آدم عبد السلام**، مرجع سابق.

ومن بين أبرز المؤسسات التعليمية التي نشأت في هذا السياق، مدرسة شعاع الشمس في حيّ زنغو، والتي تُعدّ من أوائل المدارس الحديثة التي أُسِّست في مدينة لومي علىٰ يد الإمام أحمد لُمِّي – رحمه الله .وقد كان لهذه المدرسة إسهام واضح في تطوير العملية التعليمية الدينية والعلمية بالمدينة، حيث استقبلت أعدادًا كبيرة من الطلاب، ووفّرت لهم تعليمًا متكاملاً يشمل مبادئ الدين الإسلامي، واللغة العربية، والعلوم الشرعية . وأسهمت هذه المؤسسة بذلك في تكوين نخبة من العلماء والدعاة الذين لعبوا دورًا بارزًا في الساحة العلمية والدعوية في توغو، سواء من خلال تعليم الأجيال اللاحقة، أو المشاركة في النشاط الدعوي والمجتمعي، مما جعل المدرسة رافدًا مهمًا للحفاظ علىٰ الهوية الإسلامية، وتعزيز الثقافة الدينية والتعليمية في مدينة لومي ومحيطها.

المطلب الثالث: انتشار الإسلام في لومي

دخل الإسلام إلىٰ مدينة لومي عبر التجار المسلمين من قبائل الهوسا والفولاتة القادمين من شمال البلاد كما تقدّم، وكان هؤلاء التجار لا يقتصر دورهم علىٰ التجارة وبيع السلع فحسب، بل كانوا أيضًا دعاة عمليين ينشرون الدين من خلال تعاملاتهم المالية وأخلاقهم الرفيعة .وقد جاء انتشار الإسلام في لومي في البداية بسبب المصادفة التجارية، إذ لم يكن هناك نشاط دعوي منظم أو تكلّف من قبل أشخاص معينين في المراحل الأولىٰ. ومع ذلك، وبما أن الإسلام يقدم نمط حياة متكاملًا وديناً عمليًا يتوافق مع العقل والفطرة الإنسانية، استمر هؤلاء التجار في ممارسة شعائرهم الدينية بانتظام، من صلاة وصوم وقراءة القرآن والتمسّك بالأخلاق الإسلامية أثناء رحلاتهم التجارية اليومية،

مما جعلهم قدوة عملية أمام السكان المحليين .وبفضل هذا الاحتكاك المباشر والأسلوب العملي للدين، تأثر أهالي لومي بالسلوك الإسلامي تدريجيًا، وانتشر الإسلام في المدينة بشكل طبيعي ومستمر، مؤسسًا لبداية المجتمع الإسلامي المحلي.[1]

[1] – ينظر: **إسهامات الجامعات الإسلامية في مدينة «لومي» في خدمة الدعوة الإسلامية: الواقع والتحديات والآفاق**، د.عباس إسماعيل، مرجع سابق.

أسباب انتشار الإسلام في مدينة لومي

انتشر الإسلام في مدينة لومي نتيجة مجموعة من العوامل المتكاملة، يمكن تلخيصها فيما يلي:[1]

1. **بساطة العقيدة الإسلامية وسماحتها:** فالإسلام دين عملي وميسر، يتفق مع الفطرة السليمة، وتستطيع العقول إدراك مبادئه بسهولة ويُسر. وقد ساعدت هذه الخصائص علىٰ قبول السكان المحليين للدين الجديد والتفاعل معه إيجابيًا.
2. **الروابط العرقية:** بعض الجماعات العرقية مثل الهوسا والفولاتة كان لهم إسلام ثابت ومعروف، وعندما استقرّوا في لومي، أسهموا في نشر الإسلام بين السكان المحليين من خلال التزاوج، والتعاون الاجتماعي، والمناسبات الدينية، مما جعل الدين يترسخ تدريجيًا في المجتمع المحلي.
3. **الهجرة من الشمال:** لقد كان الإسلام راسخًا في شمال توغو منذ قرون، وانتقال العديد من المسلمين من الشمال إلىٰ العاصمة لومي بحثًا عن العمل والتعليم ساعد علىٰ نقل الموروث الديني والثقافي الإسلامي، وأسهم في توسيع رقعة انتشار الدين في المدينة.
4. **الدعاة المحليون والمعلمون: تكامل** دور الدعاة المحليين مع عمل التجار المسلمين، حيث أسس هؤلاء العلماء والمدرسون المدارس

---

[1] – ينظر: **المرجع نفسه**.

القرآنية والمساجد، وكانت بمثابة مراكز تعليمية ودينية، علموا فيها القرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه الإسلامي .كما قدّموا الدروس المنتظمة خاصة خلال المواسم والمناسبات الدينية كرمضان والحج، مع اعتماد أساليب اللين والتقريب الثقافي، واستخدام اللغات المحلية في الشرح، مما سهّل فهم الناس للمفاهيم الإسلامية الصحيحة وفتح صدورهم للدين.

5. **الاستقرار السياسي والتسامح الديني:** ساعدت الظروف السياسية المستقرة والتسامح الديني النسبي في توغو علىٰ ممارسة المسلمين لشعائرهم الدينية بحرية، وبناء المساجد، وتنظيم الأنشطة والفعاليات الدينية، مما عزز وجود الإسلام وترسخه في مدينة لومي.

المبحث الثاني: الغزو الثقافي والإعلامي في مدينة لومي

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: مظاهر الغزو الثقافي والإعلامي في مدينة لومي

يُقصد بالغزو الثقافي فرض نمط ثقافي معيّن علىٰ مجتمع ما باستخدام وسائل غير عسكرية، بهدف زعزعة هويته الأصلية واستبدالها بثقافة وافدة غالبًا ما تكون مضادّة لقيمه ومعتقداته.[1]

ويُعتبر الغزو الإعلامي أحد أبرز أدوات هذا التأثير، حيث يتم تسخير الوسائل الإعلامية المختلفة لترويج أفكار وسلوكيات وأنماط حياة تؤثر سلبًا علىٰ البنية الفكرية والاجتماعية للمجتمعات المستهدفة.[2]

وفي مدينة لومي، التي تتميز بخصوصية ثقافية ودعوية واضحة، تتجلّىٰ مظاهر الغزو الثقافي والإعلامي بشكل جليّ، خاصة بين فئة الشباب، الذين يُعدّون الأكثر تعرضًا لهذه المضامين الوافدة وتأثرًا بها. ويشمل ذلك تقليد أنماط اللباس، وأساليب الحياة، والممارسات الاجتماعية والثقافية التي قد تتعارض مع القيم المحلية والدينية. ومن ثم، أصبح من الضروري دراسة هذه

---

[1] ـ عبد العزيز بن عبد الله بن باز ، **الغزو الفكري ووسائله**، (الناشر: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة: السنة الخامسة عشر – العدد التاسع والخمسون – رجب – شعبان – رمضان 1403هـ)، ص: 115م.

[2] ـ الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، **رسالة الإعلام في بلاد الإسلام وعلاقتها بالدعوة الإسلامية**، المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة (الناشر: الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، الطبعة: السنة التاسعة – العدد الرابع – ربيع أول 1397هـ/ 1977م)، ص: 159.

الظواهر وتحليل أثرها علىٰ الهوية الثقافية والدعوية للسكان، وإيجاد آليات تربوية ودعوية للحد من تأثيرها السلبي.

ومن أبرز هذه المظاهر:

انتشار الأنماط الغربية في اللباس والمظهر:

يُلاحَظ في مدينة لومي ميلُ شريحةٍ واسعةٍ من الشباب والشابات إلىٰ تقليد المشاهير الغربيين في أنماط اللباس وتسريحات الشعر، متأثرين بما تبثّه وسائل الإعلام الحديثة ومنصّات التواصل الاجتماعي من صور وأنماط سلوكية. وغالبًا ما تتعارض هذه المظاهر مع الضوابط الشرعية المتعلقة بالحشمة والستر، فضلًا عن مخالفتها للأعراف والقيم الإسلامية السائدة في المجتمع المحلي.

ولا يقتصر أثر هذا التقليد علىٰ الجانب الشكلي فحسب، بل يمتد ليشمل إضعاف الانتماء الثقافي والديني لدىٰ بعض الشباب، وتكريس قيم دخيلة تُقدّم النموذج الغربي بوصفه المثال الأعلىٰ في المظهر والسلوك، الأمر الذي يُشكّل تحدّيًا حقيقيًا أمام الجهود الدعوية والتربوية الهادفة إلىٰ ترسيخ الهوية الإسلامية في المجتمع.

ويُعَدّ هذا التقليد أحدَ أبرز تجلّيات الغزو الثقافي؛ لما يترتّب عليه من آثارٍ سلبيةٍ عميقةٍ في الهوية الدينية والثقافية لدىٰ المسلمين؛ إذ يُسهم في إضعاف الانتماء القيمي، ويُعزّز القبولَ التدريجيَّ للنموذج الغربي بوصفه مرجعيةً للسلوك والمظهر، بما يحمله من تصوّراتٍ وقيمٍ مغايرةٍ للمنظومة الإسلامية.

كما ينعكس هذا الواقع سلبًا علىٰ الخطاب الدعوي؛ إذ يُضعِف من فاعليته وقدرته علىٰ التأثير في فئة الشباب، ويُحدِث فجوةً بين الدعاة وهذه الشريحة، نتيجة اختلاف المرجعيات الثقافية وتباين أنماط التفكير والسلوك، الأمر الذي يستدعي مراجعةً جادّةً لآليات الخطاب الدعوي وأساليبه بما يُمكّنه من مواكبة التحديات المعاصرة دون التفريط في الثوابت الشرعية.

ويؤكّد عددٌ من الدعاة في مدينة لومي أنّ الغزو الفكري يُعَدّ من أخطر التحدّيات التي تواجه العمل الدعوي في المدينة؛ إذ لا يقتصر أثره علىٰ فئة الشباب فحسب، بل يتجاوزها ليشمل فئاتٍ عمريةً أخرىٰ، بما في ذلك الكهول، حيث وقع بعضهم في دائرة التقليد غير الواعي للثقافة الوافدة، وما تحمله من أنماطٍ فكرية وسلوكية مغايرةٍ للقيم الإسلامية.

ويُسهم هذا الواقع في تعقيد جهود الإصلاح الدعوي والتربوي، ويُضاعف من أعباء الدعاة والمؤسسات الدعوية، نظرًا لاتساع دائرة التأثّر، وتداخل العوامل الثقافية والإعلامية المؤثرة في تشكيل الوعي الفردي والجماعي.[1]

---

[1] ـ الأستاذ/ صادق محمد يحيىٰ (المدير السابق لإدارة معهد لومي للثقافة الإسلامية ومحاضر فيه، وداعية وخطيب عبد الله عباس في أغوي زنغو)، مقابلة شخصية في بيته، يوم الخميس 8 مايو 2025م، الساعة الرابعة مساء.

مقابلة شخصية مع **الشيخ معاوية عمر** في مكتبه الخاص(المدير الأول لإدارة معهد لومي للثقافة الإسلامية ومحاضر في جامعة السلام للعلوم والتمنية، وداعية وخطيب مسجد المهاجرين في أغوي زنغو)، يوم الجمعة 16 مايو 2025م، علىٰ تمام الساعة الرابعة مساء.

تراجع حضور اللغة العربية:

تُعاني اللغةُ العربيةُ في مدينة لومي من تراجعٍ ملحوظ، يُعزىٰ في جانبٍ كبيرٍ منه إلىٰ هيمنة اللغة الفرنسية علىٰ مؤسسات التعليم والإعلام، الأمر الذي أدّىٰ إلىٰ ضعف صلة الأجيال الناشئة بمصادر التلقّي الإسلامية الأصيلة، وفي مقدّمتها القرآن الكريم، والسنة النبوية، وعلوم الشريعة الإسلامية.

وقد أسهم الغزوُ الثقافي في ترسيخ صورةٍ سلبيةٍ عن اللغة العربية في بعض الأوساط الاجتماعية، حيث يُنظر إليها علىٰ أنّها لغةٌ دينيةٌ محضة لا تواكب متطلبات العصر، وأنّ تعلّمها لا يفتح آفاقًا مهنيةً واعدة، بل يُربط غالبًا بممارسة الخطابة أو الوعظ في المساجد فحسب.

وأدّىٰ هذا التصوّر المغلوط إلىٰ عزوف عددٍ كبيرٍ من الشباب والفتيات عن تعلّم اللغة العربية، مما انعكس سلبًا علىٰ مسيرة العمل الدعوي، سواء من حيث ندرة الكفاءات العلمية المؤهلة، أو من حيث اتساع الفجوة التواصلية والمعرفية بين الدعاة وشرائح المجتمع المختلفة.[1]

ومن أبرز النتائج السلبية لهذا التراجع، تصدّر بعض الأفراد – ممن تلقوا تعليمًا فرنسيًّا، واطلعوا علىٰ بعض المؤلفات المترجمة – المشهد الدعوي، دون تأهيل علمي راسخ في اللغة الأصلية للنصوص الإسلامية، وفهمها فهما صحيحا وليس جزئيا. وقد أسهم هذا في تشويش الخطاب الدعوي، وإشاعة الفهم المغلوط لبعض القضايا الشرعية، بل إنّ بعض هؤلاء صاروا يحذّرون

---

[1] ـ المرجع نفسه.

الشباب من تعلّم العربية بدعوىٰ أنها غير نافعة، مما يجعل ازدراء اللغة العربية تحديًا ثقافيًا خارجيًا خطيرًا يتسرب إلىٰ عقول الناشئة، ويُهدّد بقطع الصلة بمصادر الإسلام الأساسية.

ومن مظاهر الإهمال الخطير للغة العربية: تأثّر بعض الدعاة وطلبة العلم أنفسهم بالنظرة الدونية إلىٰ اللغة العربية؛ حيث غلبت عليهم القناعة بأنّ مستقبل أبنائهم التعليمي والمهني مرهونٌ بالتعليم الفرنسي وحده. وقد دفعهم هذا الاعتقاد إلىٰ إدخال أبنائهم في المدارس النظامية الفرنسية، مع إهمال تعليمهم اللغة العربية، أو الاكتفاء بتدريسها بشكل هامشي.

ويعود هذا التوجّه في كثير من الأحيان إلىٰ تجربة شخصية مريرة مرّ بها بعض الدعاة؛ إذ يرون أنهم تأخروا في نيل فرص العمل أو الترقّي الاجتماعي بسبب حصر تعليمهم في اللغة العربية دون اكتساب اللغة الفرنسية التي تُعدّ مفتاح الاندماج في مؤسسات الدولة الحديثة. وقد انعكس هذا الميل علىٰ اختياراتهم لأبنائهم، بل علىٰ خطاباتهم غير المباشرة، مما أسهم في ترسيخ الاعتقاد السائد بأنّ العربية لغةٌ لا جدوىٰ منها إلا في الخطابة أو التدريس الديني المحدود.

ولا شك أنّ هذا الانسياق خلف ثقافة الغالب – وإن بدا مبررًا لدىٰ البعض – يمثل تحديًا خارجيًا خطيرًا؛ لأنه يصدر من داخل الصف الدعوي، ويعكس حجم التغلغل الثقافي الذي أضعف الثقة بالذات الحضارية، وأربك الأولويات التربوية في المحاضن الإسلامية.[1]

---

[1] ـ وقد شهد الباحث – بصفته أستاذًا جامعيًا، وأحد طلاب العلم والدعاة المقيمين في مدينة لومي – علىٰ هذه المظاهر وتأثيراتها بشكل مباشر، بحكم معايشته للواقع الدعوي ومشاركته في

الانبهار بالنموذج الغربي:

من أبرز مظاهر التحديات الخارجية التي تواجه العمل الدعوي في مدينة لومي، الانبهار المتزايد بالنموذج الغربي؛ حيث تُقدَّم الثقافة الغربية – في أذهان فئة واسعة من الشباب والفتيات – علىٰ أنها الصورة المثلىٰ للتقدّم والنجاح والتحضّر. ويتجلىٰ هذا الانبهار في محاكاة الغرب في أنماط اللباس، وأساليب الحياة، والتصوّرات الفكرية والاجتماعية، بل في المواقف الدينية والأسرية واللغوية والانتمائية.

ويُلاحظ ميدانيًّا أنّ كثيرًا من طلاب المدارس والجامعات يطمحون في الهجرة إلىٰ فرنسا أو الدول الأوروبية، لا لغرض التحصيل العلمي فحسب، بل بدافع الإعجاب بالنمط المعيشي هناك، والرغبة في الانخراط في منظومة "الحياة الغربية"، بعيدًا عن الضوابط الدينية، أو المرجعيات الثقافية المحلية.

وقد عبّر بعض الطلبة – خلال مقابلات شخصية أجراها الباحث – عن اقتناعهم بأن الإسلام لا يصلح لإدارة الحياة المعاصرة، وأن الالتزام الديني الكامل يتعارض مع متطلبات النجاح المهني والاجتماعي في هذا العصر.

كما أن هذا الانبهار قد انعكس بشكل سلبي علىٰ صورة الدعاة والمتدينين؛ حيث يُنظر إليهم في بعض الأوساط– خصوصًا الشبابية – بوصفهم"منغلقين"

بعض المؤسسات والمبادرات الإسلامية؛ حيث لاحظ حجم التأثر بثقافة التغريب في أوساط الشباب، وفي بعض البيئات الدعوية والتعليمية نفسها، مما يزيد من صعوبة العمل الدعوي، ويستدعي مزيدًا من الجهد في استعادة الثقة باللغة العربية، وتعزيز الانتماء الثقافي الإسلامي لدىٰ الناشئة.

أو "رجعيين"، لا يواكبون العصر. وقد صرّح أحد الدعاة الشباب في مقابلة ميدانية أجريت سنة 2024م بأن "بعض الفتيات المسلمات يصرّحن بأنهن لا يثقن بخطاب الأئمة، ويجدنه بعيدًا عن واقعهن"، وهو ما يبيّن حجم الفجوة بين الشباب والخطاب الدعوي الحالي.

ومن الأمثلة الواقعية التي وقف عليها الباحث:

- بعض أولياء أمور المسلمين، يصرّحون بأنه: لا يمانعون أن تخلع بناتهم الحجاب عند دخول الجامعة الفرنسية، معتبرًا ذلك أمرًا طبيعيًّا للتأقلم مع البيئة التعليمية الحديثة. ويؤكد هذا ما شهده مطلع العام الدراسي 2024–2025م، حيث أصدر وزير التربية والتعليم في جمهورية توغو، السيد Dodji Komlan Kokoroko، قرارًا يُلزم جميع الطالبات – سواء كنّ مسلمات أم غير مسلمات – بارتداء التنورة القصيرة، وخلع الخمار؛ وذلك في مختلف المؤسسات التعليمية، خاصة الحكومية. وقد بدأ تنفيذ هذا القرار في بعض المدارس بالفعل.

ويُعد هذا القرار تحديًا مباشرًا للهوية الإسلامية، وخرقًا واضحًا لمبادئ الحرية الدينية المنصوص عليها في الدساتير الوطنية والمواثيق الدولية، كما يُمثل توجّهًا تغريبيًا ممنهجًا يستهدف إذابة التميّز الديني والثقافي للمسلمين ضمن إطار علمانيٍّ غربيٍّ لا يعترف بخصوصيات الهويات الدينية.

وقد تباينت ردود أفعال المسلمين في مدينة لومي تجاه هذا القرار على النحو الآتي:

– فئة أبدت قبولها بالقرار، ويُحتمل أن يكون ذلك نتيجة لضغوط اجتماعية أو سياسية، أو بسبب ضعف الوعي الديني.

– وفئة أخرىٰ رفضت القرار بشدة، معتبرةً إياه انتهاكًا صارخًا لمبدأ الحياء والعفاف الذي يُعد ركنًا أصيلًا في التشريع الإسلامي، ومحاولة صريحة لفرض المعصية علىٰ المسلمات من خلال نزعهن للحجاب.

التحليل والدلالات:

يمثل هذا القرار مظهراً من مظاهر التغريب القسري؛ حيث تُجبر الفتاة المسلمة علىٰ التخلّي عن زيّها الشرعي لصالح نمط ثقافي لا يعترف بالخصوصية الدينية، الأمر الذي يطرح تساؤلًا جوهريًا:

ما العلاقة بين ارتداء الخمار وكشف العورة من جهة، والتحصيل العلمي من جهة أخرىٰ؟ وهل يُمكن أن يؤثّر الالتزام باللباس المحتشم علىٰ أداء الطالبة الأكاديمي؟

الجواب المنطقي والطبيعي هو: لا توجد أية علاقة سببية بين نوعية اللباس ومستوىٰ التحصيل الدراسي، بل إن المجتمعات التي تُراعي التنوّع الديني، وتحترم التعدّد الثقافي هي الأقدر علىٰ تحقيق التماسك والاستقرار.

ومن الأمثلة الواقعية الدالة علىٰ هذا الانبهار وتأثيره في السلوك الجماعي لشباب مدينة لومي، ما شهده المجتمع قبل خمس سنين من تقليد واسع لأحد مشاهير المغنّين الأميركيين؛ حيث ظهر في أحد عروضه الغنائية مرتديًا سروالاً غريب الهيئة: ساق واحدة طويلة، وأخرىٰ ملتفّة أو مشمّرة، فانتشرت هذه الموضة بين شباب لومي، خصوصًا في الأحياء الشعبية والجامعات. ولم يقتصر

الأمر علىٰ اللباس فحسب، بل تجاوزه إلىٰ أسلوب المشي، والتحدّث، وطريقة ارتداء القبعات، حتىٰ الحركات الإيمائية التي يقوم بها هذا المغنّي.

وفي موجة لاحقة، ظهر أحد مغنّي الراب العالميين بسروال منخفض إلىٰ ما دون الحوض؛ بحيث تبدو مؤخرة الجسم مكشوفة جزئيًا، وهو ما أصبح يُعرف بموضة "سَغِّنْغ Sagging"[1]، فقلّده بعض الشباب في لومي، وظهرت هذه الظاهرة بشكل منتشر في محيط المدارس الثانوية والأسواق.

وقد علّق بعض المراقبين المحليين علىٰ هذه الظاهرة بأنها "انتحار للهوية، وانبهار غير واعٍ بثقافة مغايرة، لا تُراعي القيم الأخلاقية والدينية لمجتمع مسلم".

وتُظهر هذه النماذج الميدانية أنّ التأثّر بالنموذج الغربي لم يعد يقتصر علىٰ الجوانب الفكرية أو الاجتماعية، بل تعداه إلىٰ المظاهر السلوكية والذوقية، مما يشكل تحديًا كبيراً للدعاة والعاملين في الحقل التربوي والدعوي، ويستدعي تجديدًا في الخطاب، وتطويرًا لآليات التوجيه والتأثير في أوساط الناشئة.[2]

---

[1] ـ هي أسلوب في ارتداء السروال أو البنطال؛ حيث يكون منخفضًا جدًا عن مستوىٰ الخصر، وأحيانًا حتىٰ تحت الورك أو علىٰ مستوىٰ الإليتين، بحيث تنكشف الملابس الداخلية (الكلسون) جزئيًا أو كليًا.

[2] ـ يُسجّل الباحث– بوصفه أكاديميًا ومقيمًا في مدينة لومي – أنه شاهد هذه المظاهر بعينه، ورأىٰ أثرها في المدارس والأحياء والأسواق، مما يدلّ علىٰ عمق تأثير الغزو الثقافي علىٰ الشريحة الشبابية، وتسرّب عقدة الشعور بالنقص تجاه الثقافة الإسلامية، ومحاولة تعويض هذا النقص بالتشبه بالآخر.

ومن الجدير بالإشارة إلىٰ أنّ نتائج الاستبانة التي وُزِّعت علىٰ عيِّناتٍ من الدعاة والمربّين، والأساتذة الأكاديميين في مدينة لومي، من مختلف الفئات العمرية والمستويات التعليمية، أظهرت بوضوح أنّ الغزوَ الثقافيَّ والإعلاميَّ يُشكِّل تحدّيًا حقيقيًّا أمام الخطاب الدعوي في المدينة، وذلك من خلال المحاور الآتية:

أولًا: تأثير الثقافة الغربية في سلوك الشباب:

بيَّن (94٪) من المشاركين أنّ للثقافة الغربية تأثيرًا كبيرًا في سلوك الشباب المسلم في مدينة لومي، في حين رأىٰ (5٪) أنّ هذا التأثير متوسّط، وهو ما يعكس حجم التغلغل الثقافي الوافد في أنماط التفكير والسلوك اليومي لدىٰ هذه الفئة.

ثانيًا: تغيّر المظهر واللباس:

أفاد (100٪) من المشاركين بأنهم لاحظوا تغيّرًا واضحًا في أنماط اللباس والمظهر الخارجي لدىٰ الشباب خلال السنوات الأخيرة، بما يدلّ علىٰ تأثّرهم بالرموز الغربية في الملبس، وتسريحات الشعر، والهيئات التعبيرية، وهو ما يُعدّ من أبرز المؤشرات الظاهرة للغزو الثقافي.

ثالثًا: أسباب ضعف الإقبال علىٰ تعلّم اللغة العربية:

كشفت إجابات المشاركين عن جملةٍ من الأسباب المتكرّرة لضعف الإقبال علىٰ تعلّم اللغة العربية، من أبرزها:

- سيطرة اللغة الفرنسية علىٰ التعليم والإدارة (85٪).
- قلّة المؤسسات التعليمية المعنية بتعليم اللغة العربية (65٪).
- ضعف الوعي بقيمة اللغة العربية الدينية والثقافية (85٪).

- اقتناع بعض الشباب بعدم جدواها في المستقبل المهني (90٪).

رابعًا: تأثير الإعلام الغربي:

أشار (94٪) من المشاركين إلىٰ أنّ للبرامج الإعلامية الغربية تأثيرًا كبيرًا في تشكيل وعي الجيل الجديد وتوجّهاتِه الفكرية والسلوكية، بينما اعتبر (6٪) أنّ هذا التأثير متوسّط، وهو ما يؤكد الدور البالغ للإعلام في إعادة صياغة القيم والمعايير.

خامسًا: الانبهار بالغرب بوصفه عائقًا دعويًّا:

أبدىٰ (50٪) من المستجيبين موافقتهم الشديدة علىٰ أنّ الانبهار بالنموذج الغربي يُعدّ من أبرز التحديات التي تعيق العمل الدعوي في مدينة لومي، فيما عبّر (44٪) عن موافقتهم، مقابل (6٪) لم يوافقوا علىٰ ذلك، وهو ما يدلّ علىٰ إدراكٍ واسعٍ لخطورة هذا العامل في إضعاف التأثير الدعوي.

- **تحليل عام للنتائج:**

تشير هذه النتائج إلىٰ أنّ الدعاة في مدينة لومي يواجهون جملةً من التحديات الحقيقية والمعقّدة، التي تُعدّ من أبرزها هيمنةُ الأنماط الغربية في اللباس والسلوك وأنماط التفكير، ولا سيّما في أوساط فئة الشباب، التي تُعدّ الأكثر تعرّضًا وتأثّرًا بالمضامين الثقافية والإعلامية الوافدة. وتكشف المعطيات الإحصائية عن أنّ هذا التأثير لم يَعُد مقتصرًا علىٰ المظاهر الخارجية فحسب، بل امتدّ ليطال البنية القيمية والفكرية، بما يُفضي إلىٰ إعادة تشكيل منظومة المرجعيات لدىٰ الجيل الناشئ.

كما تُبرز النتائج ضعفَ البدائل الدعوية المؤثّرة في المجالين الثقافي والإعلامي، وهو ما يترك فراغًا تستثمره المنصّات الإعلامية الغربية في بثّ أنماطها وقيمها، في ظلّ غياب خطاب دعوي معاصر قادر علىٰ مخاطبة الواقع بلغة العصر، واستيعاب تحوّلاته، والتفاعل مع أدواته الاتصالية الحديثة. ويؤكّد ذلك أنّ التحدّي المطروح أمام العمل الدعوي في لومي لم يَعُد تحدّيًا عقديًّا مباشرًا بقدر ما هو تحدٍّ حضاريٌّ وثقافيٌّ يتّخذ مظاهر ناعمة وأدوات غير صدامية.

وبناءً علىٰ ما سبق، فإنّ هذه النتائج تفرض ضرورةَ تجديد الخطاب الدعوي من حيث المضمون والأسلوب، بما يجمع بين الثبات علىٰ الأصول الشرعية والمرونة في الوسائل، مع تفعيل الإعلام الإسلامي الهادف، واستثمار الوسائط الرقمية ومنصّات التواصل الاجتماعي في تقديم نموذج ثقافي إسلامي جاذب. كما تبرز الحاجة إلىٰ تعزيز الهوية الثقافية الإسلامية في أوساط الشباب، من خلال برامج تربوية وتثقيفية متكاملة، تُعنىٰ بإعادة الاعتبار للقيم الإسلامية، وترسيخ الانتماء الديني، وبناء الوعي النقدي القادر علىٰ التمييز بين ما يتوافق مع الهوية الإسلامية وما يتعارض معها.

المطلب الثاني: انعكاس الغزو الثقافي والإعلامي علىٰ فعالية العمل الدعوي

يُعَدّ الغزوُ الثقافيُّ والإعلاميُّ من أبرز التحديات التي تُلقي بظلالها السلبية علىٰ فعالية العمل الدعوي في مدينة لومي؛ إذ لا يتّخذ هذا الغزو طابعَ المواجهة المباشرة مع الدعوة الإسلامية عبر القمع أو الحظر، بقدر ما يعتمد أساليبَ ناعمةً تقوم علىٰ التهميش التدريجي، وتشويه الصورة، وإفراغ الخطاب الدعوي

من تأثيره، وإضعاف رموزه ومكانته الاجتماعية، فضلًا عن صرف اهتمام فئات واسعة من المجتمع – ولا سيّما فئة الشباب – عن منابع التلقي الإسلامي الأصيلة، كالقرآن الكريم، والسنة النبوية، والمؤسسات التعليمية والدعوية.

أولا: تقليص الحضور المجتمعي للدعوة:

أدّىٰ تأثيرُ الغزو الثقافي والإعلامي إلىٰ تراجع ملحوظ في إقبال الناس علىٰ المجالس الدعوية، والمحاضرات الدينية، والأنشطة التربوية التي تنظمها المساجد والمراكز الإسلامية؛ ذلك أنّ الوسائل الإعلامية الحديثة، ومنصّات التواصل الاجتماعي، تقدّم بدائلَ جذّابة تقوم علىٰ الترفيه، والتسلية، وتسويق المشاهير، وصناعة المحتوىٰ السريع، بما يُشبع النزعة الاستهلاكية والفضول اللحظي، ويُضعف في المقابل الرغبة في طلب العلم الشرعي أو الالتزام بالبرامج الدعوية المنتظمة.

وقد لاحظ الباحث – من خلال معايشته الميدانية للعمل الدعوي في مدينة لومي، ومقابلاته الشخصية مع عدد من الدعاة المحليين – أنّ فئةً معتبرةً من الشباب تُبدي عزوفًا متزايدًا عن حضور المساجد والمراكز الإسلامية، أو المشاركة في الأنشطة الدعوية المختلفة، مقابل ارتباطٍ واضحٍ بالمحتوىٰ العالمي المترجم، ولا سيّما القادم من البيئات الغربية الناطقة بالفرنسية أو الإنجليزية، سواء في منصّات الترفيه المرئي، أو شبكات التواصل الاجتماعي، أو مصادر التثقيف العام غير المنضبطة بالقيم الإسلامية.

وتُعدّ هذه الظاهرة من أخطر مظاهر التحدّي الخارجي؛ إذ إنها تُفضي إلىٰ إضعاف التلقّي المباشر للخطاب الدعوي، وتُسهم في تشكيل أنماط معرفية

وسلوكية بديلة تتعارض – في كثير من جوانبها – مع المرجعية الإسلامية، كما تُكرّس حالة من الاغتراب الديني والثقافي لدىٰ بعض الشباب. وقد أكّد عددٌ من الدعاة الذين أُجريت معهم مقابلات ميدانية أنّ هذا الواقع بات يُشكّل عائقًا حقيقيًا أمام وصول الرسالة الدعوية، ويستدعي إعادة النظر في الوسائل والأساليب المعتمدة في العمل الدعوي، بما يُمكّنه من استعادة حضوره وتأثيره في المجتمع.

ثانيا: تهميش الرموز الدينية والمؤسسات الإسلامية

أسهم التأثيرُ الإعلاميُّ والثقافيُّ الغربيُّ في إعادة تشكيل الصورة الذهنية للعالِم والداعية والمؤسسة الإسلامية في وعي شريحة من الشباب في مدينة لومي؛ إذ بات يُنظر إلىٰ هذه الرموز الدينية – في بعض الأوساط – علىٰ أنها تمثّل أنماطًا فكرية وسلوكية «تقليدية» أو «غير مواكبة لمقتضيات العصر»، بل تُوصَف أحيانًا بالرجعية والانغلاق، في مقابل حالة من التمجيد والانبهار بالشخصيات المؤثّرة القادمة من الفضاء الإعلامي الغربي أو المتأثّرة به، والتي تُقدَّم بوصفها نماذج للنجاح، والحرية، والتقدّم، وتحقيق الذات. ويؤدي هذا التحوّل القيمي إلىٰ إضعاف الثقة المجتمعية في الخطاب الدعوي، وتقليص أثره التربوي، وخلق نوع من العزلة الرمزية والاجتماعية للدعاة، ولا سيّما أولئك الذين لا يمتلكون أدوات التواصل المعاصر، أو الحضور الفعّال في المنصّات الرقمية الحديثة.

ومن أخطر مظاهر هذا التهميش ما يلاحظ من تراجع مكانة اللغة العربية في الوعي العام، وازدرائها في بعض الأوساط الشبابية، بوصفها لغةَ المساجد،

والخطب، والدروس الدينية فحسب، في مقابل تمجيد اللغة الفرنسية باعتبارها لغةَ التعليم الرسمي، والثقافة الحديثة، والفرص المهنية المستقبلية. وقد أسهم هذا التصوّر في تعميق القطيعة بين الأجيال الناشئة ومصادر المعرفة الإسلامية الأصلية، وفي مقدّمتها القرآن الكريم، والسنة النبوية، وكتب التراث الشرعي، كما فرض علىٰ الدعاة تحدّيَ مخاطبة الجمهور بلغة غير لغتهم العلمية الأصيلة، أو الاكتفاء بترجمات قد لا تنقل المعاني الشرعية بدقّتها وسياقاتها، مما يُضعف قوة الخطاب، ويحدّ من عمقه وتأثيره.

وقد وقف الباحث – بصفته أستاذًا جامعيًا يعيش الواقع الدعوي في مدينة لومي، ويشارك فيه ميدانيًا – علىٰ هذه الانعكاسات من خلال مشاهداته المباشرة، وتجربته الشخصية، ومتابعته للأنشطة الدعوية والتعليمية؛ حيث لمس بوضوح تراجع الإقبال علىٰ البرامج الدعوية التقليدية، وضعف الحضور الجماهيري للمؤسسات الإسلامية، وتقلّص دائرة التأثير المجتمعي للدعاة، وذلك في ظلّ منافسةٍ شرسةٍ تفرضها الثقافة والإعلام الوافدان، اللذان يمتلكان أدوات الانتشار والجاذبية، ويخاطبان الغرائز والاهتمامات الآنية للشباب بأساليب أكثر إغراءً وتأثيرًا.

وقد أظهرت نتائجُ الاستبانة الإلكترونية التي أجراها الباحث جملةً من المؤشّرات الدالّة علىٰ حجم انعكاس الغزو الثقافي والإعلامي علىٰ فعالية العمل الدعوي في مدينة لومي، ويمكن إجمال أبرزها فيما يأتي:

أولًا: تراجع الحضور في المساجد والمراكز الإسلامية:

أفاد (67٪) من المشاركين بأنّ فئة الشباب باتت أقلّ حضورًا في المساجد والمراكز الإسلامية مقارنةً بالفترات السابقة، في حين رأىٰ (22٪) أنّ مستوىٰ الحضور لم يشهد تغيّرًا يُذكر، بينما لم يُبدِ (11٪) من المستجيبين رأيًا محدّدًا. وتُشير هذه النتائج إلىٰ وجود مؤشّر واضح علىٰ ضعف الارتباط المؤسسي بين الشباب والمؤسسات الدينية التقليدية، وهو ما يُعدّ أحد الانعكاسات المباشرة للتحوّلات الثقافية والإعلامية المعاصرة.

ثانيًا: مصادر التلقّي المعرفي والديني لدى الشباب:

عند سؤال المشاركين عن أبرز المصادر التي يستقي منها الشباب معلوماتهم الدينية والفكرية، جاءت النتائج علىٰ النحو الآتي:

- وسائل التواصل الاجتماعي: (74٪).
- الإنترنت والقنوات الأجنبية: (63٪).
- الأسرة: (34٪).
- المراكز الإسلامية: (29٪).

وتعكس هذه المعطيات هيمنةَ الإعلام الرقمي المفتوح – وغالبًا غير المنضبط بالقيم الإسلامية – علىٰ تشكيل وعي الجيل الجديد، في مقابل تراجع

الدور التربوي للأسرة، وضعف تأثير المؤسسات الدعوية والتعليمية التقليدية، وهو ما يفرض تحديات كبيرة أمام الخطاب الدعوي في أداء وظيفته التوجيهية والتربوية.

ثالثاً: تهميش المرجعية الإسلامية في الوعي المجتمعي:

عبّر (58٪) من المستجيبين عن قناعتهم بأنّ الغزو الثقافي والإعلامي أسهم بشكلٍ مباشر في تهميش المرجعية الإسلامية داخل المجتمع، بينما رأىٰ (28٪) أنّه أسهم في ذلك إلىٰ حدٍّ ما، في حين نفىٰ (14٪) فقط وجود هذا التأثير. وتُبرز هذه النتائج مدىٰ التأثير العميق للثقافة الوافدة في إعادة تشكيل منظومة المرجعيات القيمية والفكرية لدىٰ الأفراد، ولا سيّما فئة الشباب.

رابعاً: ازدواجية القيم بين الخطاب الدعوي والإعلام الغربي:

أشار (61٪) من المشاركين إلىٰ أنّ ازدواجية القيم بين ما يُقدَّم في وسائل الإعلام الغربية، وما يُطرَح في الخطب والدروس الدينية، تُؤثّر سلبًا علىٰ انتماء الشباب للعمل الدعوي والتزامهم القيمي، في حين رأىٰ (24٪) عدم وجود هذا التأثير، ولم يُحدِّد (15٪) موقفهم من هذه المسألة. وتكشف هذه النتيجة عن حالة من التنافر القيمي التي يعيشها الشباب بين مرجعيتين متباينتين، الأمر الذي ينعكس في كثير من الأحيان علىٰ سلوكهم، ويؤدّي إلىٰ نوع من الارتباك الفكري والانفصام العملي.

تحليل عام للنتائج:

تدلّ هذه المؤشّرات مجتمعةً علىٰ وجود تآكلٍ ملحوظٍ في فعالية العمل الدعوي، نتيجة التحوّل في مصادر التأثير الثقافي والمعرفي، ولا سيّما بعد تراجع دور الأسرة والمؤسسات الإسلامية، مقابل تصاعد نفوذ الإعلام الرقمي ووسائل التواصل الاجتماعي. كما أنّ التضارب بين الخطاب الدعوي التقليدي وما يُروَّج في الإعلام المعاصر أسهم في إضعاف الاستجابة الدعوية لدىٰ الشباب، وخلق فجوةٍ بين الخطاب والواقع. وهو ما يستدعي من الدعاة والمؤسسات الدعوية ضرورة مراجعة أدواتهم ومناهجهم، وتطوير خطاب دعوي معاصر، يجمع بين الأصالة والواقعية، وينفتح بوعي علىٰ المنصّات التي يرتادها الشباب، مع الحفاظ علىٰ الثوابت الشرعية والمرجعيات القيمية الإسلامية.

المبحث الأول: معالجة آثار الغزو الثقافي والإعلامي.

وتحته ثلاثة مطالب:

يهدف هذا المبحث إلىٰ معالجة هذه الآثار السلبية باقتراح الحلول العملية التي تُسهم في تعزيز الهوية الإسلامية، وبناء المناعة الثقافية، وإحياء الوعي الديني، مع التركيز علىٰ دور الإعلام والبرامج الثقافية في هذا المسار، بوصفهما أهم الوسائل القادرة علىٰ التأثير والتوجيه في عصر الثورة الرقمية. ويتكون المبحث من مطلبين:

المطلب الأول: تعزيز الهوية الإسلامية عبر الإعلام والبرامج الثقافية

يمثّل الإعلام المعاصر– بوسائطه التقليدية والرقمية – أحد أدوات التأثير الثقافي في المجتمعات، خاصة في أوساط الشباب. وقد أدىٰ الانفتاح الإعلامي في مدينة لومي، مقرونًا بضعف المنصات المحلية الفاعلة، إلىٰ تراجع تأثير الخطاب الإسلامي في تشكيل وعي الأجيال، الأمر الذي فتح المجال واسعًا أمام الثقافات الوافدة لتتسلل إلىٰ الوعي الاجتماعي، وتحلّ محلّ المرجعية القيمية الإسلامية.

ولمواجهة هذا الخطر المحدق لا بد من تعزيز الهوية الإسلامية من خلال استثمار الإعلام والبرامج الثقافية، وذلك بعض المبادرات العملية التالية:

1. **دعم إنشاء المنصات الإعلامية المحلية الهادفة:** ينبغي تشجيع المؤسسات الدعوية والعلمية في لومي علىٰ تأسيس المنصات الإعلامية

المتعددة الوسائط (مرئية، مسموعة، إلكترونية)، تُعنىٰ بقضايا الشباب، وتقدّم محتوىٰ تربوياً وتعليمياً يعزّز الانتماء الإسلامي.

وتُراعىٰ في هذه المنصات عناصر الجذب والتفاعل، مثل:

- استخدام اللغة المحلية بجانب اللغة العربية.
- تناول القضايا الواقعية والملحّة للشباب.
- توظيف الشخصيات المؤثرة إيجاباً لتقديم البرامج.

2. **إنتاج محتوىٰ إعلامي يُبرز محاسن الثقافة الإسلامية:** يتطلب الواقع الدعوي في لومي توجيه الجهود نحو إنتاج المحتوىٰ الإعلامي المناسب الذي يُعرّف الناس بمحاسن الإسلام، ويصحّح الصور النمطية المشوّهة التي يروّج لها الإعلام الخارجي.

ويُقترح أن يشتمل هذا المحتوىٰ علىٰ:

- أفلام قصيرة توعوية.
- مقاطع تعليمية عن القيم الإسلامية والسيرة النبوية.للشباب كما يجب الحرص علىٰ توظيف الإخراج الفني الاحترافي، ولغة الخطاب المناسبة لكل فئة.

3. **إطلاق الحملات التوعوية الرقمية لمعالجة آثار الغزو الثقافي:** يمكن تنظيم الحملات التوعوية المتسلسلة علىٰ وسائل التواصل الاجتماعي؛ للتركيز علىٰ:

- بيان خطورة التقليد الأعمىٰ للثقافات الوافدة.
- تعزيز النقد الواعي للرسائل الإعلامية المستوردة.

- التذكير بالقيم الإسلامية التي تُشكّل الحصانة الذاتية للمسلم.

وتكون هذه الحملات بالتعاون بين الدعاة، والمؤسسات التربوية، وروّاد الإعلام الرقمي في لومي، مع الاستفادة من المناسبات الموسمية لتعزيز التفاعل الجماهيري معها.

إن تعزيز الهوية الإسلامية عبر الإعلام لم يعد ترفًا، بل ضرورة استراتيجية في ظل التحديات الثقافية المعاصرة. ويتطلب ذلك بناء المشروع الإعلامي الدعوي المتكامل، يزاوج بين الأصالة والمعاصرة، ويخاطب العقول والقلوب بلغة يفهمها الجيل ويثق بها.

المطلب الثاني: تقوية المؤسسات التعليمية الإسلامية والاهتمام بها

يمثّل تعزيز المؤسسات التعليمية الإسلامية والارتقاء بمستوىٰ اللغة العربية ركيزة أساسية لمواجهة آفة الغزو الثقافي والإعلامي؛ إذ إنّ بناء القدرات اللغوية والتربوية في صلب إعداد الجيل القادم، يضمن ترسيخ الهوية الإسلامية، ويعمل علىٰ صون المجتمع من التأثّر الهدّام بالرسائل الثقافية الأجنبية. وفي هذا الإطار تتجلّىٰ أهميّة هذا المطلب في النّقاط التالية:

أولًا: تطوير المناهج التعليمية في المدارس والمعاهد الإسلامية:

1. **مراعاة احتياجات الجيل:** شهدت الفئات الشّبابية في لومي انفتاحًا متسارعًا علىٰ المصادر المعرفية والتقنية الغربية، ما يجعل المناهج التقليدية في المدارس الإسلامية غير كافية لمواجهة التحدّيات الراهنة.[1] لذا، يجب إعادة صياغة المناهج بما يركّز علىٰ:

- **المهارات المعاصرة:** تدريب المكوّنات التعليمية وتنمِّية مهاراتهم التفكيرية، بالإبداع العلمي، والعمل الجماعي، بحيث لا يقتصر التعليم علىٰ الحفظ والتلقين.[2]

---

[1] ـ ينظر: **التنصير في إفريقيا أساليبه، ووسائله، وآثاره،** تأليف: مجموعة من الباحثين، تحرير: بسام المسلماني،(الناشر: مجلة قراءات إفريقيا، الطبعة الأولىٰ، عام 1436هـ - 2015م)،ص:164.

[2] ـ ينظر: **مشاكل الدعوة والدعاة في عصرنا الحاضر ووسائل علاجها،** محمد أمين حسن بني عامر، دراسات علوم الشريعة والقانون، المجّلد 35 ، العدد1، عام 2008 م ،ص:94.

- **القيم الإسلامية وقضايا الهوية**؛ وذلك بتعزيز الوحدات الدراسية التي تتناول قيم الوسطية، والانتماء الإسلامي، والتاريخ الحضاري الإسلامي، مع ربطها بحياة الطلاب اليومية بطريقة تفاعلية.[1]
- **غرس الفضيلة في المجتمع الإسلامي**، بدءًا من الأسرة، مع التأكيد علىٰ التزام النساء بالخلق الإسلامي الرفيع، والحذر من الانسياق خلف الدعوات المضلّلة التي تروّجها الجهات المعادية للإسلام.
- **نشر الكتاب الإسلامي التوعوي**، الذي يُبصر المسلم بأحكام دينه، ويكشف له مقاصد الشريعة، ويؤكد علىٰ شمولية الإسلام وصلاحيته لكل زمان ومكان، مع ترجمته إلىٰ اللغة الفرنسية واللغات المحلية لضمان وصوله إلىٰ أوسع شريحة ممكنة.
- **التوازن اللغوي**: وذلك بالحرص علىٰ إتقان الطلاب للغة العربية الفصحىٰ، من خلال تخصيص الحصص الإثرائية في مهارات القراءة والكتابة والإلقاء، بما يضمن قدرتهم علىٰ التعامل مع المصادر الإسلامية الأصلية (القرآن الكريم، الحديث الشريف، كتب التراث)

2. **تحسين مستوىٰ اللغة العربية**: ويتطلب ذلك إيلاء مادة اللغة العربية صدارةً في المناهج الجديدة، وذلك من خلال النقاط التالية:

- **توظيف المنهاج التكاملي**، وذلك بالربط بين الدراسات النصية، ومهارات اللغة، مع وضع الوحدات التطبيقيّة في فهم المقاصد الشرعية من خلال النصوص العربية.

---

[1] ـ المرجع نفسه.

- **استخدام الوسائل الحديثة**: كالمصوّرات التفاعلية، والبرامج التعليمية الرقمية التي تعزّز فهم القواعد النحوية والصرفية بأسلوبٍ جذّابٍ للطالب.
- **التقييم المستمرّ والتحصيلي**: وذلك باعتماد الأساليب التقويمية المتنوعة (مشاريع بحثية، عروض شفهيّة، اختبارات تحريرية وعملية) للوقوف علىٰ مدىٰ إتقان الطالب للغة العربية وتوجيهه لتحسين أدائه.

ثانيا: تبصير المسلمين بالمخططات المعادية ووسائل الغزو الثقافي:

ينبغي تكثيف الجهود لتوعية المسلمين– وخاصة الشباب– بالمؤامرات التي تحكيها التيارات المعادية للإسلام، والتي تستهدف تقويض الشخصية الإسلامية، من خلال نشر الإلحاد والانحلال الخلقي، وترويج ثقافة التغريب والانفصال عن الدين؛ بغية السيطرة علىٰ العالم فكريـًا وقيميـًا.

ويُعدّ من الضروري حثّ العلماء والمفكّرين وأهل الرأي علىٰ المواصلة في كشف هذه المخطّطات، وفضح زيفها، وتقديم الآليات العملية للتحصّن منها؛ وذلك عبر الخطب المنبرية والمحاضرات العلمية، ووسائل الإعلام المختلفة.

[1]

ثالثا: التحذير من الأنشطة المموّهة التي تحمل مضامين معادية للإسلام:

إن كثيراً من الحركات والجهات المناهضة للإسلام تتقنّع بواجهات علمية أو ثقافية أو اجتماعية، فتقيم المؤتمرات والندوات والملتقيات تحت شعارات

---

[1] ـ ينظر: **مشاكل الدعوة والدعاة في عصرنا الحاضر ووسائل علاجها**، مرجع سابق،ص:94.

براقّة مثل "السلام العالمي" أو "الصداقة بين الشعوب" أو "الحوار الثقافي"، في حين تحمل مضامين تروّج للتغريب والانحلال، أو تنفّذ أجندات تنصيرية خفية.

لذا، يجب علىٰ المؤسّسات الإسلامية رصد هذه الأنشطة وكشف حقيقتها، وتوعية المسلمين بمخاطرها، والعمل علىٰ إيجاد البدائل النزيهة والآمنة في المجالات الثقافية والعلمية والاجتماعية.[1]

رابعا: إقامة المسابقات اللغوية والثقافية والدورات في مهارات التعبير والكتابة باللّغة العربية:

تعد المسابقات محفّزاً قويـًا لتشجيع الطلاب علىٰ التطوّر المستمرّ **كمسابقة القرآن الكريم:** تشجيعـًا للطلاب علىٰ تحسين تلاوتهم وقراءتهم وفهمهم لمعاني القرآن، مع تخصيص الجوائز التشجيعية والرحلات العلمية للمتفوقين، وكذلك **مسابقة الخطابة والخط العربي:** للوقوف علىٰ قدرة الطلاب علىٰ الإلقاء وإيصال الفكرة بحُسن أسلوب.[2]

---

[1] ـ ينظر: المرجع نفسه

[2] ـ ينظر: ، د. ألاويي لقمان أولاتجو، **النمو التحصيلي في المدارس العربية في نيجيريا.. العوائق والحلول،** مجلة قراءات إفريقيا، العدد (12)، ربيع الآخر-جمادىٰ الآخرة1433هـ، أبريل-يونيو2-12م، ص:41.

خامساً: إعداد الكتب العلمية الحديثة وتوظيف وسائل الإعلام في خدمة الإسلام:

تُعدّ الكتابات العصرية الموثوقة، ووسائل الإعلام المتطوّرة من أبرز أدوات تثقيف المجتمعات، ولا بد من استثمارها في غرس المفاهيم الإسلامية الصحيحة، وتصحيح الانتماء العقدي والثقافي لأبناء الأمة.

ويتحقق ذلك من خلال إعداد مؤلفات علمية معاصرة تُخاطب عقل الجيل الجديد بلغة العصر، وتتناول القضايا الإيمانية والفكرية والاجتماعية بروح علمية رصينة، مع الردّ علىٰ الشبهات المثارة حول الإسلام بطريقة موضوعية تُظهر عدالة الشريعة وسماحتها.

كما يجب الاستفادة من الوسائل الإعلامية بمختلف أشكالها- المرئية والمسموعة والمقروءة- في عرض الصورة الحقيقية للإسلام، وتفنيد الحملات التضليلية التي تستهدف تشويه تعاليمه.[1]

المطلب الثالث: دعم الخطاب الدعوي أمام التحديات الثقافية والاجتماعية

لا شكّ أن الخطاب الجامد بلغة تقليدية، أو الخطاب المحصور في موضوعات جزئية، لم يعد كافياً لبعث الحيوية في العمل الدعوي، ولم يقدر علىٰ القيام بمهمّة الإصلاح والتأثير الاجتماعي.

وعليه، فإن تجديد الخطاب وتفعيله في الحياة العامة يُعدّ من أبرز الحلول للقضاء علىٰ آثار التغريب، ورفع مناعة الأمة الثقافية، وبث القيم الإسلامية من داخل واقعها المعاش.

---

[1] ـ ينظر: **مشاكل الدعوة والدعاة في عصرنا الحاضر ووسائل علاجها**، مرجع سابق،ص:94.

أولاً: ملامح الحاجة إلى التجديد:

لا بد للخطاب الدعوي ليؤتىٰ ثماره وتأثيراته أن يكون قريباً من لغة الناس، متفاعلاً مع قضاياهم، ومُراعياً لحاجات الفئات العمرية المختلفة.

وقد أصبحت شريحة الشباب اليوم أكثر عرضة للتأثّر بالخطابات الإعلامية الغربية، والتي توظّف التكنولوجيا والتأثير البصري، في مقابل جمود كثير من الخطابات الدعوية التقليدية.[1]

ومن أسباب الحاجة إلىٰ التجديد ما يأتي:[2]

- النفور المتزايد من الخطب المنبرية والدروس العلمية الخالية من التفاعل أو القاصرة عن معالجة قضايا الواقع.
- العزوف عن حلقات المساجد في مقابل الإقبال علىٰ محتوىٰ الشبكات الرقمية.
- ضياع الشباب بين مفاهيم الحداثة والعلمانية دون خطاب إسلامي يقدّم البدائل الفكرية القوية.

---

[1] ـ د. عطية عدلان، **"تجديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال"**، مجلة البيان العدد (314)، شوال 1434هـ، أغسطس – سبتمبر 2013م. الرابط: https://www.albayan.co.uk/MGZArticle2.aspx?ID=3041

[2] ـ ينظر: نبيلة بشارة يوسف عبد الله، **تجديد الخطاب الدعوي للشباب والمراهقين في العصر الحديث**، إشراف: الدكتور / محمد السيد البساطي، بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير قسم الدعوة بكلية العلوم الإسلامية – الجامعة المدنية العالمية بماليزية، ص: 33-35.

ثانيا: ضبط الخطاب الدعوي بالتنظيم الشرعي الممنهج:

إن من أبرز الأسس التي ترسم ملامح الخطاب الدعوي الناجح، أن يُبنىٰ علىٰ الخطاب الشرعي الممنهج، وهو ما يتجاوز الوعظ العاطفي أو الاجتهادات الفردية، ليصل إلىٰ الخطاب الدعوي المنضبط بالرؤية الشرعية الكلية التي تجمع بين فقه النصوص وفقه الواقع، وبين المقاصد الشرعية وأولويات الإصلاح.[1]

وهذا الضابط لا يتحقّق بمجرّد الدعوة إلىٰ تعلّم العلم الشرعي فقط، بل يتطلب **إعمال "الولاية العلمية "**علىٰ الخطاب الدعوي، بمعنىٰ أن يكون الدعاة ملتزمين بمنهج علمي مؤصل في عرض الدين، مستند إلىٰ فهم سلف الأمة، ومدعوم بمراكز تأصيلية وجماعية علمية بكل معايير الجودة والتقييم.

ثالثا: محاور تجديد الخطاب الدعوي:

1. **تحديث الأسلوب واللغة؛ إذ** لا يمكن للخطاب الدعوي أن يحقّق أهدافه في التأثير والتغيير إلا إذا كان معاصراً في أسلوبه، قريبـًا من لغة الواقع الذي يخاطب فيه المدعوين. وفي ظلّ التغيرات الثقافية والاجتماعية تظهر الحاجة الماسّة إلىٰ تطوير لغة الدعوة، وتجديد أدواتها وأساليبها، خاصة عند مخاطبة الشباب الذين يمثّلون النسبة الغالبة في المجتمعات الإسلامية اليوم.

---

[1] ـ د. عطية عدلان، **تجديد الخطاب الدعوي التحديات والآمال**، مرجع سابق.

ويتطلب تجديد الخطاب الدعوي تطوير أسلوب الدعوة ومضمونها، بما يُمكِّن الدعوة من الوصول إلىٰ قلوب المدعوين وعقولهم، ومن أبرز أساليب التحديث ما يلي:

- **استخدام اللغة السهلة والواقعية**: من أساليب تحديث الخطاب الدعوي أن تكون لغته بعيدة عن التعقيد، واضحة المعاني، ومشحونة بالأمثلة الواقعية، والقصص المؤثّرة التي تقرب المعاني، وتلامس وجدان الناس، خصوصاً الشباب. فقد أثبتت التجربة أن التوجيه المباشر الجاف للوعظ أقل تأثيراً من الطرح القصصي والحواري القريب من الحياة اليومية. فالقصة وسيلة فعّالة في إيصال الرسالة وغرس القيم، خاصة لدىٰ الأجيال الناشئة.
- **مراعاة اللغة المحلية في الدعوة**: يُعد إتقان اللغات المحلية من أهم مقوّمات نجاح الداعية، إذ يُمكّنه من إيصال المعاني بوضوح وقرب من السامع. وفي مدينة لومي تُعد الفرنسية اللغة الرسمية، تليها لغة "إيفي" التي يتحدّث بها عامة الناس. وعليه، فإن تعلّم هاتين اللغتين وإتقانهما شرط أساسي لتأثير الخطاب الدعوي في السكان. وقد حرص النبي ﷺ علىٰ إرسال الدعاة الذين يفهمون لغة القوم المدعوين، كما بعث معاذ بن جبل إلىٰ اليمن، وكان ممن يُحسن خطابهم وفهم طباعهم
- **الابتعاد عن المصطلحات الفقهية المعقّدة**: يُستحب للداعية أن يتحاشىٰ استخدام العبارات الاصطلاحية المعقّدة التي قد تربك العامة أو تنفّرهم، وأن يستبدلها بعبارات معاصرة سهلة الفهم. فقد أخرج مسلم عن ابن

مسعود ـ رضي الله عنه- قال: **«مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ، إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً»**[1].فالخطاب لا بد أن يُراعىٰ فيه حال المخاطَب، ومستوىٰ فهمه وثقافته.

- **تدريب الدعاة علىٰ مهارات الإلقاء والتواصل**: إنّ التدريب علىٰ فنون الإلقاء، وضبط نبرة الصوت، وتوظيف لغة الجسد، والتعامل مع الانفعالات المختلفة، من المهارات الأساسية التي ينبغي أن يتحلىٰ بها الداعية المعاصر.فهذه المهارات تُعينه علىٰ إيصال الفكرة، والتأثير في الجمهور، والإقناع بالحجة.[2]
- **الانفتاح علىٰ الوسائل الحديثة:** لم يعد الخطاب الدعوي المعاصر محصوراً علىٰ منابر المسجد أو ساحات المحاضرة، بل اتسع فضاؤه؛ ليشمل المنصات الرقمية، ووسائل الإعلام الحديثة التي باتت جزءا لا يتجزأ من حياة الشباب، ومن ثمّ فإن انفتاح الدعاة علىٰ هذه الوسائل، واستثمارها بشكل فعّال، أصبح ضرورة دعوية وليس مجرّد خيار إضافيّ.
- **استثمار المنصات الرقمية**: تُعد وسائل التواصل الاجتماعي كـ(فيسبوك، يوتيوب، تيك توك، إنستغرام...) ساحات رئيسة يتواصل فيها الشباب اليوم، وتؤثّر في ثقافتهم وسلوكهم واقتناعاتهم بدرجة تفوق كثيراً من

---

[1] ـ **صحيح مسلم**،مقدمة الإمام مسلم رحمه الله،بَابُ النَّهْيِ عَنِ الْحَدِيثِ بِكُلِّ مَا سَمِعَ،ج:1،ص:11.

[2] ـ ينظر: **تجديد الخطاب الدعوي للشباب والمراهقين في العصر الحديث**، مرجع سابق، ص:39.

المؤسسات التعليمية والإعلامية التقليدية. ومن هذا المنطلق، فإن الحضور الفعّال للدعاة علىٰ هذه المنصات ضرورة استراتيجية لمخاطبة هذا الجيل برسالة الإسلام بلغة يفهمونها وأسلوب يستسيغونه. ومن هنا، يتحتم بناء الحضور الدعوي الرقمي الاحترافي، لا المرتجل الذي يجمع بين المضمون الشرعي العميق، والأسلوب المعاصر الجاذب.[1]

- **تقديم الرسائل المختصرة المؤثّرة**: تتجه اهتمامات الجيل الرقمي اليوم نحو المحتويات القصيرة والمباشرة؛ لذا فإن إنتاج مقاطع مختصرة، وتصاميم معلوماتية (إنفوغراف)، وتسجيلات صوتية جذابة. يُعد من أنجع الوسائل في نشر القيم الإسلامية وتوصيل المفاهيم التربوية والدينية. فالعبرة اليوم ليست بطول الخطبة أو الدرس، بل بمقدار تأثيره وسرعة انتشاره وسهولة تلقيه.

وقد كان من هديه ﷺ الاقتصار علىٰ الموعظة الموجزة المؤثرة، لذلك بوَّبَ الإمام مسلم في صحيحه **"بَابُ الِاقْتِصَادِ فِي الْمَوْعِظَةِ"**. وأورد فيه عن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه كان يُذكِّر كُلَّ يَوْمِ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ إِنَّا نُحِبُّ حَدِيثَكَ وَنَشْتَهِيهِ، وَلَوَدِدْنَا أَنَّكَ حَدَّثْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، فَقَالَ: مَا يَمْنَعُنِي أَنْ أُحَدِّثَكُمْ إِلَّا كَرَاهِيَةُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، **«إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَتَخَوَّلُنَا بِالْمَوْعِظَةِ فِي الْأَيَّامِ، كَرَاهِيَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا»**[2].وهذا يدل علىٰ أن الاختصار

---

[1] ـ ينظر: المرجع نفسه.

[2] ـ **(صحيح مسلم)**، كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ الِاقْتِصَادِ فِي الْمَوْعِظَةِ، رقم الحديث (2821) ج:4، ص: 2173.

والتوقيت عنصران حاسمان في نجاح الخطاب الدعوي، وهما من خصائص المحتوىٰ الرقمي الناجح.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، والصلاة والسلام علىٰ أشرف الخلق وسيد الدعاة، محمدٍ بن عبد الله، وعلىٰ آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.أما بعدُ:

وقد توصّلت الدراسة، في ضوء المعطيات الميدانية والتحليل النظري ونتائج الاستبانة، إلىٰ جملةٍ من النتائج، أعقبتها بمجموعة من التوصيات العملية.

أولًا: نتائج الدراسة:

1. أن الغزو الثقافي والإعلامي يُعدّ من أخطر التحديات المؤثرة في فعالية العمل الدعوي؛ لما يُحدثه من تغيير عميق في أنماط التفكير والسلوك والمظهر، ولا سيّما في أوساط الشباب، عبر ترسيخ النموذج الغربي بوصفه مرجعية للسلوك والقيم.
2. وجود تراجع ملموس في ارتباط فئة الشباب بالمساجد والمراكز الإسلامية، مقابل تصاعد اعتمادهم علىٰ وسائل التواصل الاجتماعي والإعلام الرقمي كمصادر رئيسة للتلقي المعرفي والديني، وهو ما أضعف أثر الخطاب الدعوي التقليدي.

3. إسهام الغزو الثقافي في تهميش المرجعية الإسلامية واللغة العربية في الوعي العام، حيث باتت العربية تُنظر إليها – في بعض الأوساط – بوصفها لغة دينية محدودة الأفق، لا تواكب متطلبات العصر، مما أثّر سلبًا على تكوين الدعاة، وعلى التواصل الفعّال مع المجتمع.
4. أن ازدواجية القيم بين الخطاب الدعوي والإعلام الوافد أدّت إلى ارتباك قيمي لدى الشباب، وانعكست في ضعف الانتماء الدعوي، وظهور سلوكيات متناقضة مع القيم الإسلامية، الأمر الذي زاد من صعوبة الجهود التربوية والإصلاحية.
5. أثبتت نتائج الاستبانة الميدانية أن غالبية الدعاة والمربين يدركون خطورة هذه التحديات، غير أنّ ضعف الإمكانات، وقلّة التنسيق، ومحدودية الاستثمار الإعلامي، حالت دون مواجهة فعّالة وممنهجة لها.

ثانياً: توصيات الدراسة

في ضوء النتائج السابقة، توصي الدراسة بما يأتي:

1. **ضرورة تجديد الخطاب الدعوي** من حيث المضامين والأساليب، بما يراعي التحوّلات الثقافية والإعلامية المعاصرة، ويخاطب الشباب بلغة واقعية تجمع بين الأصالة الشرعية والمعاصرة الفكرية.
2. **تفعيل الحضور الدعوي في الفضاء الإعلامي الرقمي**، من خلال إنشاء منصّات دعوية احترافية، واستثمار وسائل التواصل الاجتماعي في تقديم

محتوىً إسلامي جذّاب، يعالج قضايا الشباب، ويقدّم نماذج إيجابية بديلة.

3. تعزيز مكانة اللغة العربية في العمل الدعوي والتعليمي، عبر ربطها بالهوية الإسلامية، وتطوير مناهج تعليمها، وبيان دورها في بناء الفكر، وفهم النصوص الشرعية، والانفتاح الحضاري الواعي.

4. تشجيع مزيد من الدراسات الميدانية حول واقع الدعوة في توغو وبلدان غرب إفريقيا، مع التركيز علىٰ قضايا الشباب، والإعلام، والهوية، والاستفادة من نتائجها في التخطيط الدعوي المستقبلي.

وفي الختام، تؤكّد هذه الدراسة أنّ العمل الدعوي في مدينة لومي، رغم ما يواجهه من تحديات جسيمة، يمتلك مقومات حقيقية للنهوض والتجديد، متىٰ ما أُحسن توظيف الإمكانات المتاحة، وتكاملت الجهود، وتجدّد الخطاب، بما يضمن الحفاظ علىٰ الهوية الإسلامية، وتعزيز حضور الدعوة في واقع متغيّر ومتداخل الثقافات.

المحتويات

المقدمة.. 3
أهمية الدراسة:.. 4
أهداف الدراسة:.. 4
إشكاليات الدراسة:.. 4
حدود الدراسة:... 5
منهج الدراسة:... 5
هيكل الدراسة:... 6
المبحث الأول: جغرافية مدينة لومي ودخول الإسلام إليها.............................. 8
المطلب الأول: مدينة لومي: موقعا وجغرافيا................................ 8
المطلب الثاني: دخول الإسلام في لومي.................................. 10
المطلب الثالث: انتشار الإسلام في لومي.................................. 16
أسباب انتشار الإسلام في مدينة لومي.................................... 18
المبحث الثاني: الغزو الثقافي والإعلامي في مدينة لومي.......................... 20
المطلب الأول: مظاهر الغزو الثقافي والإعلامي في مدينة لومي..................... 20
انتشار الأنماط الغربية في اللباس والمظهر:................................ 21
تراجع حضور اللغة العربية:... 23
الانبهار بالنموذج الغربي:.. 25
التحليل والدلالات:.. 27
أولا: تقليص الحضور المجتمعي للدعوة:.................................. 32
ثانيا: تهميش الرموز الدينية والمؤسسات الإسلامية............................ 33
أولًا: تراجع الحضور في المساجد والمراكز الإسلامية:......................... 35
ثانيًا: مصادر التلقّي المعرفي والديني لدى الشباب:........................... 35
ثالثًا: تهميش المرجعية الإسلامية في الوعي المجتمعي:......................... 36
رابعًا: ازدواجية القيم بين الخطاب الدعوي والإعلام الغربي:...................... 36

المبحث الأول: معالجة آثار الغزو الثقافي والإعلامي. 38
المطلب الأول: تعزيز الهوية الإسلامية عبر الإعلام والبرامج الثقافية 38
المطلب الثاني: تقوية المؤسسات التعليمية الإسلامية والاهتمام بها 41
أولًا: تطوير المناهج التعليمية في المدارس والمعاهد الإسلامية: 41
ثانيا: تبصير المسلمين بالمخططات المعادية ووسائل الغزو الثقافي: 43
ثالثا: التحذير من الأنشطة المموّهة التي تحمل مضامين معادية للإسلام: 43
رابعا: إقامة المسابقات اللغوية والدورات في مهارات الكتابة باللّغة العربية: 44
خامسًا: إعداد الكتب العلمية الحديثة وتوظيف وسائل الإعلام في خدمة الإسلام: 45
أولاً: ملامح الحاجة إلى التجديد: 46
ثانيا: ضبط الخطاب الدعوي بالتنظيم الشرعي المنهج: 47
الخاتمة 51
أولًا: نتائج الدراسة: 51
ثانيًا: توصيات الدراسة 52
المحتويات 54